

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود
جامعة كركوك / كلية التربية
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

للفاصلة القرآنية مكانٌ كبيرٌ في مساحة النص القرآني، وهي عنصر مهم فيه إذ يعتمد النظم أساساً على وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه، وتسليماً بالمبدأ العام أنّ سرّ نظم الجملة القرآنية في حروفها وألفاظها يأتي من سرّ انتظامهما معاً ويقدر ما يظهر من جمال لفظي في نظم الفاصلة القرآنية يظهر جمال آخر في المعنى الذي تطلب ذلك النظم فيتشكل منهما جمال فوق جمال.

لم يكن البحث في نظم الفاصلة القرآنية يهدف إلى مراعاة الحروف فحسب وإنما يهدف إلى مراعاة المعنى قبل ذلك، فالأداء اللفظي يقوي الأداء المعنوي دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل، وأحياناً لا يراعي النظم القرآني الفاصلة بل قد تأتي مغايرة لنظم ما قبلها أو ما بعدها وفي هذا دليل على أن المقصود هو المعنى.

بين يدي البحث

البحث في النظم - في إطاره العام - دراسة في الأبواب التي تتدرج تحت علوم البلاغة جميعها بمعنى أنها تشمل أبواب العلوم الثلاثة التقليدية (البيان، والمعاني، والبدیع) فالنظم كما استقر في مفهوم البلاغيين حسن اختيار الكلمات باشتقاق معين يعين على أداء المعنى المراد والدقة في تأليفها ووضعها في المكان الأنسب لها من جملة الكلام، ووصل بعضها ببعض، ولكن منهجية البحث لم تتدرج تحت التقسيمات المشار

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

إليها أنفأ، فأثرتُ أن أتناولها على وفق الأنساق التي وردت فيها، وهذه الأنساق التعبيرية التي تتميز بها الفاصلة القرآنية هي في الغالب اختيار بين عدد من البدائل، أو الأشباه، أو النظائر اللغوية التي تشترك فيما بينها في التعبير عن معنى واحد بطريقة مقاربية، ويقوم النظم القرآني في الفاصلة باختيار أكثر هذه الوسائل تحقيقاً للمطابقة بينها وبين السياق لفظاً ومعنى، والذي بدوره يتيح لنا التعرف على بلاغة التحولات أو الاختيارات، وكل صورة من صور جاءت موافقة لمقام الخطاب ومقتضى الحال من خلال ما انماز به من بنى أسلوبية وسياقية على مستوى الدال اللغوي المرئي الذي يمثل البنية السطحية، وعلى مستوى المدلول الذي يمثل البنية العميقة فنشأ عن ذلك تنوع الأساليب الخطابية.

حرص البحث على الشواهد واعتمدها منطلقاً ومرتكزاً للدراسة بعيداً عن الجانب النظري إلا في حدود ما احتاجه البحث في تمهيد من شأنه أن يكون مُعيناً على فهم المصطلحات الواردة في البحث ويراها ضرورية، وحاول أن ينتقي شواهد مختارة تتباين في الدلالة على المراد هذا من جهة، ومن جهة أخرى انتقينا ما يحتاج المفهوم إليه من الشواهد كي يتجلى القصد للقارئ، ولا يخفى ان بعضها قد يكون أوضح من بعض لا على أنها أنسب الأمثلة للاستشهاد بها بل ما كان يحضر الباحث لحظة الكتابة وبحسب قدرة البحث على استشفاف النكتة والغرض.

النظم في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: هو ضمّ شيءٍ إلى آخر، يقال: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر، والنظم كالنسق. وكل شيءٍ اتبع بعضه بعضاً فهو نسق له، والتنسيق: التنظيم، يقال نسقه نسقاً، ونسقه تنسيقاً، أي نظمه على السواء^(١)، ومن المجاز: (نظم الكلام وهذا نظمٌ حسنٌ، وانتظم كلامه وأمره، وليس لأمره نظام: إذا لم تستقم طريقته)^(٢)، فالمعنى اللغوي المشترك إذن هو ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه نسقاً واحداً كحبات اللؤلؤ المنتظم في سلك.

والنظم في مدونة الاصطلاح البلاغي: تأليف الكلمات، وترتيب الجمل، وتناسب الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل؛ وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل، فالمراد بالنظم إذن حسن تأليف الكلمات ودقة نسجها في العبارات ليتألف منها العمل كله؛ ووضع شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) أصلاً للنظم قال فيه: (ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله... وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم من نظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفرقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ ينطلقٌ، وينطلقٌ زيدٌ، ومنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ المنطلق، والمنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ هو المنطلق، هو زيد منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج...، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاء زيد مسرعاً، وجاعني يسرع، وجاعني وهو مسرع... الخ) (٣).

فالنظم عنده إذن: حُسن اختيار الكلمات باشتقاق مُعين يُعين على أداء المعنى المراد ويراعي الدقة في تأليفها ووضعها في المكان الأنسب لها من جملة الكلام ووصلها ببعضها.

ويكاد المفهوم العام للنظم يلتقي مع المصطلحات الكثيرة التي تتناول ما يتعلق بتكوين الكلام، أو ما يشتق منها من حيث اللفظ والتركيب وما يتعلق بهما وبأحوالهما، فهو يلتقي مع التأليف، والرصف، والسبك، وضم أجزاء الكلام على نحو مخصوص، والنسق التركيبي للغة، والعلاقة داخل السياق، والتوافق بين النسق الأدبي والنسق اللغوي، وملاءمة معنى اللفظ لمعنى ما يسبقه وما يلحقه، وكل ذلك على وفق القواعد النحوية والصرفية واللغوية التي تنتظم ذلك الوجود (٤).

الفاصلة لغة واصطلاحاً:

في اللغة:

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

لمادة (فصل) في المعاجم دلالات متعددة تدل على معان تكاد تتفق في مدلولها العام، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: الفاء، والصاد، واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلاً، والفصيل: الحكم، والفصيل ولد الناقة إذا افتصل عن أمه والمفصل: اللسان؛ لأن به تفصل الأمور وتميز^(٥). والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، ومنها التفصيل: أي التبيين^(٦) فالمعنى اللغوي المشترك إذن هو: إبانة أحد الشئيين من الآخر حتى يكون بينهما فُرجة.

وتطلق الفاصلة في اصطلاح القدماء^(٧) والمعاصرين^(٨) على آخر كلمة تختّم به الآية كقافية الشعر وقرينة السجع والفواصل ألفاظ متشاكله في المقاطع توجب إفهام السامع، وتدل على المقاطع، وتحسين الكلام بالتشاكل والتناظر والتماثل^(٩) وبذلك تكون هذه الدلالات قد وضعت الفاصلة في علم البديع من البلاغة؛ لأنها تقوم على التشاكل والتناظر والتماثل، وتشبه الفاصلة قافية الشعر باعتبارهما نقطتا ارتكاز صوتي، غير أن الإجماع منعقد على عدم تسمية الفاصلة قافية كما حكاها السيوطي (ت ٩١١ هـ): (ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً؛ لأن الله - تعالى - لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً؛ لأنها منه... وكما يمتنع استعمال القافية، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه)^(١٠)

أن الفاصلة القرآنية (تزيد وتتفوق على القافية الشعرية والأسجاع النثرية بشحنة المعنى المراد، ووفرة النغم الصوتي والسعة في الحركة)^(١١)

يعتمد النظم في الفاصلة القرآنية على وحدة النص، والالتحام الموجود بين أجزائه تماسكاً، وتناسباً، وتناغم ذلك النظم في الحروف والألفاظ وانتظامهما معاً، ويقدر ما يظهر من الجمال اللفظي في ذلك النظم يتبعه جمال آخر في المعنى الذي تطلب ذلك النظم فيتشكل منها فوق جمال، وأن أي عدول في نظم الفاصلة لم تكن الغاية منه المحافظة على مراعاتها أو توافقها أولاً بل كان المعنى ربما ظهر أو خفي علينا أحياناً. يقول الخطيب الإسكافي (٤٢٠ هـ): (إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة... وقد غير

فيها، فلا بُدَّ من حكمة هناك تُطلب، فإذا أدركتموها فقد ظفرتكم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم^(١٢).

ولا خلاف في ان تعدد أساليب القول بتعدد الأغراض وتنوعها لبيان المعاني وإيصالها. وتعد تلك المتغيرات الأسلوبية بمثابة مبدأ الاختيار في عملية التوزيع في تشكيل الخطاب، إذا فعملية الاختيار هي مكون أساسي من مكونات التشكيل الأسلوبي، وهي في جوهرها عبارة عن اختيار شكل لغوي حيوي من بين عدة أشكال متاحة لدى المتكلم أو صاحب الخطاب، ويمكن أن يطلق على هذه الاختيارات في مجال صناعة البلاغة العربية بمختلف تشكيلاتها البنائية بمفهوم النظم.^(١٣)

الأصل في النظم هو المعنى:

ليس المهم في وجوه النظم أن يكون التناسق على المستوى الصوتي أو المعنوي هو المقصود في التحقق بل قد تختلف المعادلة؛ مع أن الأسلوب القرآني قد أولاهما اهتماما كبيرا، فالأسلوب القرآني أحيانا لا يراعي المستوى الصوتي بل المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى إذ انه ينوع في نظم الفواصل بتنوع الموضوع الذي يعرضه ويتبع ذلك طول الفاصلة وقصرها وطريقة بنائها اللفظي وتخيير الحرف الأخير الذي تختتم به تبعاً للسياق الذي تسير عليه الآيات دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿١﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٢﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٣﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٤﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمْزُدُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿٥﴾ أَتَدَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً ﴿٦﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿٧﴾﴾^(١٤) جاءت الفاصلة (نخرة) مخالفة لإبقاع فاصلة ما قبلها وما بعدها، وقدمت رعاية المعنى على رعاية اللفظ لان (نخرة) أقوى في الدلالة من (ناخرة) ويقال: (نخرَ العظمُ فهو نخر، وناخر كقولك: طمع فهو طمع وطامع. وفعل أبلغ من فاعل - وقد قرئ بهما - وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير)^(١٥) وقيل (النخرة) من العظام: البالية التي فيها بقية، وهي التي تدخل الريح فيها وتخرج منها)^(١٦) و النظم بـ (نخرة) وهي صفة مشبهة تدل على ثبات الصفة في العظام لما فيها من مبالغة، وصيغة فعل من

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

صيغ المبالغة كذلك، و(من دلالات بناء الصفة المشبهة على هذا الوزن (فِعْل) هو المعنى العارض للذات الراسخ أو المستقرة فيها... وأن هذا البناء غالباً فيما يكره أمره من أوجاع وعيوب باطنه وشدائد وما يعسر أمره أو في المكروهات عموماً) ^(١٧) وبذلك تكون هذه الصيغة أكثر تلاؤماً وتناسباً مع موقف هؤلاء المنكرين للبعث وهذا دليل على أن المعنى هو المقصود بالدرجة الأولى.

ووفقاً لمبدأ الاختيار في النظم القرآني سينظر البحث في مجموعة من الشواهد ليُدلّل بها على أن البيان القرآني لا يقوم على اعتبار لفظي فحسب، وإنما يقوم على اعتبار معنوي إذ المعنى هو الأهم قبل رعاية الفاصلة، فالأداء اللفظي يقوي الأداء المعنوي بلا شك، وسيختار البحث شواهد متنوعة منتقاة من مسائل النظم القرآني في الفاصلة ويعرضها بحسب أساليبها وهي:

الفصل بتقديم المفعول به:

هذا النوع من الفصل يطرد في القرآن الكريم وفي كلام العرب، واعتنى به البيانيون في لغة التنزيل أكثر من عنايتهم بما وقع منه في الشعر والنثر، وتوسعوا في بحث واهتدوا إلى ضروب منه تزيد المطلع عليه تذوقاً لكتاب الله ^(١٨).

والتقديم في تركيب النص يكون: (إما من أجل الاختصاص وإزالة الاحتمال والوهم، وإما للاهتمام بذكر العلة أولاً والإخبار عنها مباشرة ليفاجأ السامع بها، وبذلك يكون من علة التقديم في النص التعلق بالمعنى وليس لأسباب تتعلق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام) ^(١٩)

وما يعنينا في هذا المقام ما كان المقدم مقدماً والأصل فيه التأخير، والنظر في علاقة المراعاة اللفظية والمعنوية في بنية الفاصلة، والأصل أن يكون المقدم مقدماً والمؤخر مؤخراً فكل تحويل في النظم لابد له من دلالة تتطلب ذلك التحويل لنكتة بلاغية كالعناية والاهتمام أو التوكيد أو التخصيص.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢٠) فعلة هذا النظم جيء بها لغرض تقديم العبادة على الاستعانة هو (لقصد الاختصاص... والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة... فإن قلت: فلم قُدمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة تمهيد لها ليستوجب الإجابة إليها)^(٢١)

ويرى ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أن علة هذا العدول ترتبط بمراعاة الفاصلة فيقول: (إنما قدم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: (نعبدك ونستعينك) لم يكن له من الحسن ما لو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ألا ترى أنه تقدم قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فجاء بعد ذلك قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وذلك لمراعاة النظم السجعي الذي هو على حرف النون ولو قال: (نعبدك ونستعينك) لذهبت تلك الطلاوة وزال الحسن)^(٢٢)، ومن خلال ما تحمله بنية الآية من سمات ملحوظة تتمثل في الانسجام الصوتي فإن السياق اقتضى أن تكون الفاصلة على ما كانت عليه، ولا شك أنه لو لم يكن التقديم لم تتسجم الفاصلة مع أخواتها ولكن التقديم أيضاً اقتضاه المعنى فأفاد العلة، والسببية، والاختصاص^(٢٣)، فالعبادة والاستعانة مختصتان بالله- تعالى -؛ لأن العبادة هي حق الله على العبد والاستعانة هي إحسانه بعد ذلك فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان بسواه _ في عظام الأمور _ وبذلك صار التقديم أمراً طبيعياً فإذا أدى العبد حق العبادة جاء طلب الاستعانة من المعبود بعد ذلك، فحصل من ذلك أيضاً إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب من مخرج اللسان.

ومن هذا الباب: **بتقديم الفصل الخبر على المبتدأ**، قال تعالى في سورة القيامة ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٢٤): أي المرجع والمآب الى الله - سبحانه وتعالى - وحده وليس إلى ذات أخرى قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢٥).

وقال ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢٦).

وقال ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢٧).

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

وقال ﴿ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢٨)، وآيات أُخر.

إن ما جاء في نظم فاصلة سورة القيامة ليس من باب التقديم من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي كما ذهب بعضهم اعتماداً على الفواصل الأربعة التي سبقت الآية بل هو لقصد الاختصاص^(٢٩) فتقديم (إلى ربك) على متعلقه وهو (المساق) للاهتمام به، وهكذا لم تأت الفاصلة لغرض لفظي فحسب - وهو اتفاق رؤوس الآي أو ما يعبر عنها بمراعاة الفاصلة - إنما جاءت لغرض معنوي يحتمله السياق وتقتضيه الحكمة، فالسياق هو الذي حمل لفظ (المساق) هذا المعنى فاجتمع هنا مراعاة اللفظ ومراعاة مقتضى الحال، فالنظم القرآني لا يقدم لفظ ويؤخر آخر على حساب المقام. ثم إن تقديم الجار والمجرور اعطى الجملة توكيداً.

الفصل بإبدال صيغة بإخرى: فَعَال // فَعِيل.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾^(٣٠)

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣١).

هذان الشاهدان من شواهد المتشابه اللفظي^(٣٢)، وفيهما تشابه في صديهما واختلاف في فاصلتيهما، فهل هذا الإبدال في نظمهما يعود الى مراعاة نظم الآي؟ أم إنه يحتاج الى تناسب معنوي يعضد التناسب اللفظي ليكون النظم متناسقاً وتكون كل فاصلة على ما يجب ويناسب السياق.

إن صيغة كل من الفاصلتين ظلوم كفار و عفور رحيم _صيغة مبالغة فالأولى: من بُنيتي مبالغة وهما (فعول) و (فَعَال) يفيدان الكثرة والاستغراق وهنا جاءت للذم بحسب متعلقاتهما أو كما هو ظاهر من سياق هذين الوصفين، وقد راعى فيهما النظم القرآني التدرج في وصف الإنسان، فصيغة المبالغة (فَعَال) أقوى دلالة من صيغة (فعول) لزيادة حروف هذه الصيغة^(٣٣)، ونظم الفاصلة الثانية (رحيم) صيغة مبالغة أيضاً تدل على كثرة أو سعة رحمته تعالى.

وعند الرجوع إلى المدونة المعجمية فإننا سنجد معاني ألفاظ الفاصلتين كالاتي.

الظلم: (وضع الشيء في غير موضعه، وهو التعدي عن الحق إلى الباطل، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد) (٣٤).

والكفر: هو (وصف ينطوي عليه الإنسان من كفران النعمة وقلة ما يقوم بأداء الشكر) (٣٥). وقد أُجْرِيَ الْكَفَّارُ مَجْرَى الْكُفُورِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى.

وَالْغَفْرُ: (إلباس ما يصونه عن الدَّنَسِ، والغفران والمغفرة من الله وهو أن يصون العبدَ من أن يمسه العذاب، والغافر والغفور في وصف الله) (٣٦).

والرحم والرحمة: (رقة تقتضي الاحسان إلى المرحوم... وإذا وصف بها البارئ فيراد الإحسان المُجَرَّد، والرحمة من الله إنعام وأفضال، ومن الأدميين رقة وتعطف، والرحيم تستعمل في وصف البارئ وفي غيره) (٣٧).

ومن هذه الدلالات نلاحظ التناسب واضحاً في فاصلة كل منهما الأولى بوصف الإنسان والثانية بوصف الله تعالى، جاء في البرهان للزركشي (ت ٧٩٤هـ) عن الحكمة في تخصيص آية (إبراهيم) بما وصفت وأية النحل بما وصفت (والجواب أن سياق الآية في سورة (إبراهيم) في وصف الإنسان وما جُبل عليه؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية (النحل) فسيقت في وصف الله تعالى، واثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه) (٣٨).

وبذلك لا تكون المحافظة على وجود الفواصل في القرآن الكريم لمجرد ما الفصل بين فحسب، بل يكون الإتيان بها الذي يقتضيه حسن النظم والتنامة وتناسبه.

الفصل بايثار لفظة على أخرى.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٣٩﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٣٩).

والضيزى: هي القسمة الجائرة الناقصة (غير عادلة) وضازه: نقصه، والضيز: الجور (٤٠). و(ضيزى) من الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، فهل يكتفي النظم في هذا الموضع أنها

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

جاءت للمراعاة أم أن هناك علة أخرى جعلت هذه الفاصلة من أحسن ما يكون من الاختيار؟، والمدونة المعجمية لا توفر بديلاً يصلح لهذا الموضع من النظم يحمل في ذاته تآلفاً بين الشحنة اللفظية والمعنوية غير هذه اللفظة، ولننظر إلى كلام ابن الأثير وهو يحدثنا عن سر هذا الاختيار في الفاصلة إذ يرى أن الحسن فيها يرجع إلى شيء لفظي محض وهو مراعاة التقارب في مواضع الفاصلة وعدها (من الألفاظ التي حسنت بحسن موقعها؛ لأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسد مسدها، وقد يكون هناك لفظة أحسن منها مثل جائرة، أو ظالمة، ولكنها لا تتناسب مع أخواتها في هذا المقام إذ تكون خارجة عن حروف السورة) (٤١)، وأزاد الرافعي على ما ذكره ابن الأثير إذ توقف على هذا الموضع من الفاصلة وتأملها تأملاً شاملاً دقيقاً فقال: (جاءت الكلمة فاصلة... في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فأنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله فقال تعالى ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كأنها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى؛ وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهم في إنكاره... وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغيراتها اللفظية... ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقف له بلفظها وهيئة منطقتها فكان في تأليف حروفها معنى حسب وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس) (٤٢)

لفظة (ضيزى) جاءت في هذا السياق حاملةً في ذاتها دلالتين في آنٍ واحد الأولى دلالة ذاتية ينظر إليها من وقعها الموسيقي في ذاتها فكان نطق حروفها يوحى إغناءً من الوقع الموسيقي ومعنى متوجاً يوحى بعدم كفاية أي لفظة غيرها لتسد مكانها في هذا الموضع، فلو أبدلت بغيرها لكان ذلك خللاً بيناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة وانسجام العبارة فضلاً عن أن بنية حروف هذه الفاصلة باعتبار أصواتها ومخارجها فالحرف المهيم في هذه اللفظة هو (الضاد) الذي يخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس - وفيه من التكلف في نطقه -، ثم يليه حرف المد - الياء - ثم

الحرف الاسناني - الزاي - ثم - حرف مد. فكان المقطع الصوتي في الفاصلة يوجي بالتأرجح بين الشهيق والزفير ليؤكد جدّة وجور تلك القسمة.

الفصل بإيثار الحذف: (حذف المفعول به).

الحذف مظهر من مظاهر الاتساع في الكلام، وضروريه كثيرة تختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه وإذا كان في الذكر تقييد ففي الحذف إطلاق كما يقولون، ومنه حذف المفعول به وهو أصلٌ كبيرٌ أكدّه النظم القرآني في مواضع كثيرة وقال الجرجاني وهو عمدة من تحدث في هذا الباب: (فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجديك انطق ما تكون إذا لم تتطرق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين) (٤٣) ولا خلاف في أن كل هذا - مواضع الحذف - لغرض فني تقتضيه العلة النحوية أو الصرفية أو مراعاة مقتضى سياق التعبير وما يستدعيه مقام الكلام؛ فكل هذا ينادي بالألفاظ ليضعها بابلغ تعبير وأجمل صورة (٤٤).

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٤٥)، أي: وما قلاك.

ربما يُتوهم أن السر في مجيء صيغة الفاصلة على هذه الهيئة يعود أولاً إلى مراعاة النغمة الموسيقية في الأداء مع ما يسبقها أو ما يلحقها، وذلك حاصل من حيث الانسجام ولكن هناك علة أخرى لا تقل أهمية عن التوافق في الفاصلة جعلت نظمها يختص بها بدون مجيء المفعول به (الكاف) .

ونظير حذف الضمير من (قلا) كحذفه من الذكارات في قوله: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (٤٦) يريد والذكاراته ونحوه (فأوى) (٤٧) و (فهدى) (٤٨)، (فاغنى) (٤٩) وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (٥٠).

وفي العودة إلى سياق هذه الآية نجد دلالتين منفيتين. الأولى. التوديع الذي هو بين الأحباب والثانية: القلى الذي هو بين المتباغضين، فالقلى: شدة البغض يقال: قلا يقلبه ويقلوه (٥١).

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

تناول العلماء هذا الشاهد وأشاروا الى حذف ضمير الخطاب، فذهب قسم منهم إلى أن الحذف للاختصار كالفرء (ت ٢٠٧هـ) ^(٥٢)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ^(٥٣)، وأبي حيان (ت ٧٤٥هـ) ^(٥٤)، أو الحذف للاستغناء عنه بذكره من قبل (أي الكاف في ما ودعك) أو الى نفي صدور الفعل مع مراعاة الفواصل كما عند أبي السعود (٩٥١هـ) ^(٥٥)، وقريباً من ذلك ما ذكره الدكتور فاضل السامرائي بتعليل جميل يدل على ذوق رفيع حيث قال في هذا الصدد: (لهذا غرضاً بديعاً وسراً لطيفاً علاوة على ما ذكره وهو أن الحذف للإكرام والتعظيم وذلك أنه تعالى لم يرد أن يواجهه بالقلبي فيقول بـ ﴿وما قلاك﴾ وإنما اكتفى بالمفعول السابق إكراماً لرسول الله أن يناله الفعل ^(٥٦). وبذلك يلحظ أن إيثار هذا النظم في هذه الفاصلة لم يتخذ مراعاة الفواصل سبباً وحيداً في نظمها وإنما توجَّح بمراعاة مقام الخطاب ومقتضى سياق النظم.

الفصل بتقديم المفضول على الفاضل.

ومنه قوله تعالى في سورة طه ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٥٧).

من المعهود في أسلوب القرآن أن يُقدم موسى على أخيه هارون في غير هذا الموضع؛ لأن موسى عليه السلام هو صاحب الرسالة، وصاحب المعجزة، وهارون هو مساعد في حملها، فالأغلب أن يرد ذكر موسى ثم هارون للمفاضلة قال تعالى ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ ^(٥٨).

أما ما جاء في نظم فاصلة سورة طه فقد قدم هارون على موسى، وما كان هذا التغيير في البنية السطحية للنظم إلا بتضافر العلة المعنوية واللفظية !

وفي حدود ما اطلعت عليه من كتب الدراسات القرآنية التي تناولت هذا الشاهد لم أجد في تعليقاتهم لهذه الظاهرة إلا ما يخص المراعاة اللفظية كابن الأثير ^(٥٩)، والخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠هـ) ^(٦٠)، والكرماني (ت ٥٠٥هـ) ^(٦١)، وابن الزبير (٧٠٨هـ) ^(٦٢).

والذي أراه أن التوجيه برعاية الفاصلة لرؤوس الآي غير كافٍ لتذوق البيان القرآني، فلا بد من الرجوع إلى السياق الذي ينتج عنه أمران يلحظان في تلمس حسن النظم بوساطة مطابقة الكلام للسياق، وأثر السياق في صوغ الكلام لأداء المعنى المطلوب، فالسياق في سورة (طه) يظهر ان موسى -عليه السلام- أدرك الضعف البشري ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (٦٣) ولم يكن ذلك في المواضع التي يرد فيها ذكر موسى وهارون، فـ(التعبير الوارد على ألسنة سحرة فرعون حين آمنوا يحكي لنا ما في نفوسهم و كأنهم لهول الموقف نطقوا بكلمات غير مرتبة، فهي تكشف عن دهشتهم فكان التعبير كاشفاً عن هول المفاجأة... وكأنهم يدللون على عمق إيمانهم سواء أكان الإيمان جاء على لسان هارون أم على لسان موسى فهو لديهم راسخ) (٦٤).

ولما كانت المعجزة لم تظهر على يد هارون ففي ذلك دلالة قوية على قوة الاقتناع، فهم آمنوا بما هو ليس أفضل فكان من المناسب في النظم ان يتطابق مع ما يشعرون به فجاء تقديم هارون على موسى - الفاضل على من هو أكثر فضلاً - ليكون متطابقاً لفظاً ومعنى مع طبيعة المقام، وبذلك يكون من علة التقديم هنا هو التعلق بالمعنى وليس لأسباب تتعلق بالبنية الشكلية أو المراعاة اللفظية.

الفصل بزيادة الألف في موضع وحذفه من آخر.

ومنه ما جاء في فاصلتين من سورة الأحزاب في الأولى ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ﴾ (٦٥).

وفي الثانية ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٦٦).

تناول العلماء هذين الشاهدين وكان تركيزهم منصّباً على ألف الإطلاق وسبب وجودها لأن فواصل سورة الأحزاب ألفات، وتراوحت تعليقاتهم بين ما يتعلق في ثبوت ألف الاطلاق كونها رأس آية، أو مشاكلة الفواصل السابقة واللاحقة، أو أن الكلام قد انقطع وما بعده مستأنف.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

يقول الاخفش (ت ٢١٥هـ): ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ثبتت الألف فيها لأنها رأس آية ؛ لان قوماً من العرب يجعلون أواخر القوافي، إذا سكتوا عليها على مثل حالها إذا وصلوها^(٦٧).

ويقول أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ): (إن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات من الشعر والفواصل... وأن الكلام قد تم وانقطع، وأن ما بعده مستأنف)^(٦٨).

وأما الزمخشري فيرى أن (زيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وما بعده مستأنف)^(٦٩) والنظم القرآني يعني بالفاصلة ويكل ما يتعلق بها من حيث كونها نقطة ارتكاز صوتي ومن حيث المعنى، ومراعاة المقام وسياق الحال، فيراعي المعنى والناحية اللفظية معاً، ففي الآية الأولى ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾

جاء (السبيلا) بالألف ؛ لأن سياق الكلام يتحدث عن أناس يمدون أصواتهم في النار، فجاء المد وهو المناسب لمد الصوت في البكاء، وأما السياق في الآية الثانية فإنه بخلاف ما جاء في الآية الأولى^(٧٠).

وهكذا لم يكتف العلماء عند حدود النظرة التجزيئية للنص إذ إن وجهة النظر هذه ترى أن كل آية (نصاً مستقلاً) بمعنى منفصل عن الآيات السابقة لها أو التالية لها بل بذلوا غاية جهدهم لتأكيد اتصال النص وتناسبه.

الفصل باقتران الصفات.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٧١).

رؤُوف: الرأفة والرحمة والرفقة والتعطف. وقد رؤف بهم ورأف: ورأف الله تعالى بعباده ورؤف: وهو ذو رأفة ورحمة^(٧٢).

رحيم: الإحسان المجرد دون الرقة والتعطف... والرحمة من الله إنعام وأفضال ومن الآدميين رقة وتعطف والرحيم ما كَثُرَتْ رحمته^(٧٣).

والاسمان (رؤوف ورحيم) من أسماء الله الحسنى وكلاهما من صيغ المبالغة فهل هناك مناسبة في تقديم الرؤوف على الرحيم، وهل يرتبط هذا النظم بالمراعاة اللفظية أم هناك علة أخرى. ؟

ذهب البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) في تفسيره لتعليل تقديم (الرؤوف) على (الرحيم) على أنه جاء لرعاية الفاصلة فقال: (ولعله قدّم (الرؤوف) وهو أبلغ محافظة على الفواصل)^(٧٤). إلا أن ذلك لا يسد ولا يكف إذ أن من المؤكد (أن القرآن الكريم راعى في كل ذلك ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقي وحده... فهو راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام فلم يجر موطن على آخر وهذا غاية الإعجاز ونهاية الحسن في الكلام)^(٧٥).

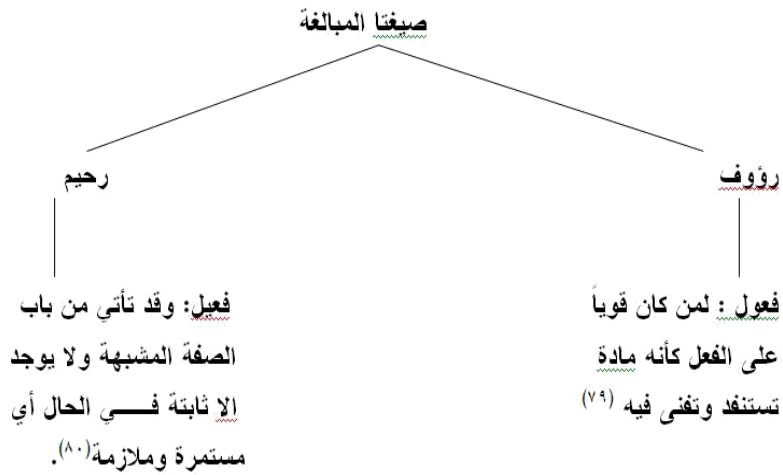
ولعل هذه الدلالات جعلت الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) يرد على قول القاضي البيضاوي رداً مهذباً في تعليقه تقديم (الرؤوف) على (الرحيم)، فقال الألوسي: (وقول القاضي بيض الله تعالى غرة أحواله: لعل تقديم (الرؤوف) مع أنه أبلغ محافظة على الفواصل ليس بشيء لأن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع، فالمراعاة حاصلة على كل حال، ولأن الرحمة حيث وردت في القرآن قدمت^(٧٦) ولو في غير الفواصل)^(٧٧)، وهناك ملحظ آخر يتعلق ببنية الآية الأفقي، وأصل الكلام أن الله لرؤوف رحيم (بالناس) فقد الجار والمجرور (بالناس) لغرض بلاغي يتعلق بالسببية والاختصاص فالرأفة والرحمة من الله، وأصل الجار والمجرور أن يأتي رتبته بعد تمام المعنى فقدم الجار لمراعاة نظم الفاصلة لفظاً ومعنى.

وفضلاً عن ذلك فإن الاسمين (رؤوف) و(رحيم) هما من صيغ المبالغة منقولان من أسماء الذوات ؛ لأن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة في حقه والنهاية في صفاته وهذا لا يعني أنهما بمعنى واحد ؛ لأنه لو كان كذلك فلا داعٍ حينئذٍ للتقديم

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

والتأخير، و(أكثر صفات الله جارية على وزن (فعليل)، والرؤوف للخلق والرحيم لهم بالرزق، والخلق قبل الرزق (٧٨).



ووفقاً لذلك فإن نظم هذه الفاصلة قد جرى على القياس والترقي من الأدنى الى الأعلى كقولهم: عالم تحرير، وشجاع باسل، أو أن النظم جاء على سبيل الإرداف والتتميم؛ ليتناول مادقّ منها ولطف (٨١)، فالتقديم هنا لم يكن الهدف منه رعاية الفاصلة فحسب، بل كان الهدف منه أن المعنى منصب عليه.

الفصل بإفراد ما أصله أن يجمع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ (٨٢).

وضع الزركشي هذا الشاهد في جملة الأحكام التي ترد فيه الفاصلة مراعاة للمناسبة اعتماداً على ما ذكره ابن الصائغ (ت ٧٦٦هـ) الذي لم يصل إلينا كتابه، وإنما وصلتنا نقولٌ عنه في البرهان للزركشي (٨٣) والإتقان للسيوطي (ت ٩١١هـ) (٨٤)، لكن (الزركشي) لم يبين نوع المناسبة أكانت لفظية أم معنوية؟ ولكن السياق الذي عرض فيه

هذا الحكم يدل على المراعاة اللفظية، إذ جعل عنوان الأحكام التي ترد فيه الفاصلة القرآنية (إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل) وجعل الحكم الخامس (إفراد ما أصله أن يجمع)، وهذا السياق جرى باعتبار (نهر) مفرد (أنهار)، وأصل الكلام أن يكون (أنهار) وإنما وُحِدَ لأنه فاصلة إذ راعى بهذا التوحيد فواصل الآي التي جاءت على حرف (راء) وهذا وجه.

أما الوجه الثاني من نظم الآية فيتشرح عنه دلالة أخرى تذهب الى أن (نهر) تعني السَّعة والضياء كما صرح بهذا الفراء والزركشي بقولهما: (ويقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في ضياء وسعة)^(٨٥) وقيل: (هو السعة والضياء من النهار، وقرئ بسكون الهاء)^(٨٦) وعلى هذا يكون معنى الآية ان المتقين في جنات وسعة وضياء.

والذي أراه إن معنى (نهر) يحمل الداليتين في سياق هذه الآية لأن النهر هو (السَّعة تشبيهاً بنهر الماء، وأنهرَ الماء جرى، ونهر كثير الماء)^(٨٧).

والسياق الداخلي للآية يُعَضِّد هاتين الداليتين فالجنة (كل ما يستر بأشجاره الأرض وسُميت الجنة إما تشبيهاً بالجنة في الأرض - وأن كان بينهما بون - وإما لستره نعيمه عَنَّا، قال ابن عباس إنما قال جنان بلفظ الجمع لكون الجنان سبعاً، جنة الفردوس، وعدن، والنعيم، والخلد، والمأوى، ودار السلام، وعليين)^(٨٨).

والنص القرآني حمَّال أوجه وهو كما يقال: قطعي الثبوت ظني الدلالة، ونظم الآية يحتمل الداليتين معاً في وصف الجنات التي يجزي الله بها المتقين، وما ترشح عن الداليتين يشير إلى ان الجنة لا يمكن تخيلها إلا كونها واسعة، وضاءة، وارفة، كثيرة الأنهار، انهار الماء، والخمر، والعسل، واللبن، وغير محددة الوصف بدلالة تكبير الفاصلة (نهر).

وما يعنينا في هذا هو علاقة المراعاة اللفظية والمعنوية في بنية الفاصلة التي كانت حاصلة ومؤثرة في جريان نسق الكلام وحسن موقعه إذ لم تأتِ الفاصلة (نهر) لغرض لفظي محض وإنما جاءت لغرض معنوي احتمله السياق واقتضته الحكمة.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

الفصل بالعدول عن صيغة المضي الى الاستقبال.

العدول من المصطلحات التي شاعت في الدراسات اللغوية، والنقدية، والبلاغية، والدراسات القرآنية، وقد عبّر التراث عن هذا الإجراء بمصطلحات ومفاهيم تشاركه الخروج عن المعيار اللغوي وتغيير الاتجاه فمنها: المجاز، والنقل، والتصريف، والرجوع، والالتفات، ومخالفة مقتضى الحال ونقص العادة وغير ذلك^(٨٩).

أما الدراسات الحديثة فقد عبّرت عما يلتقي مع العدول بمصطلحات عديدة شاع استعمالها فمنها: الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والمخالفة، وخرق السنن وغير ذلك^(٩٠).

ويمثل هذا الإجراء نقطة الالتقاء مع الدراسات اللغوية الحديثة بما يتناسب مع طبيعة النص القرآني، والعدول في جوهره يقوم على التوزيع والاختيار السليم كي يفضي إلى دلالات جديدة محكومة بالسياق الذي هو المعيار الأساس في جمال العبارة^(٩١).

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: (فَقَرِيحًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيحًا تَقْتُلُونَ)^(٩٢).

هذا الشاهد من النظم القرآني يحمل مظهراً لغوياً وبلاغياً. (عدول)، ويتمثل ذلك بتقديم المفعولين للتوكيد والاهتمام، ويحمل تعبيراً بصيغة المضارع (تقتلون) ولم يقل قتلتم كما قال كذبتم.

جعل الزركشي هذا الشاهد النوع الثاني عشر من مواضع الخروج عن نظم الكلام لأجل رعاية الفاصلة^(٩٣)، وربما كان هذا الإجراء لأن الزركشي تناول مجموعة من المواضع على سبيل الاختيار لأجل التمهيد والتصنيف في مواضع الفاصلة وليس على سبيل تبين الدلالات وعلى كل حال فان منطق الإعجاز يقول: (ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقها دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه ؛ قد نتدبره فنهندي إلى سره البياني، وقد يغيب عنّا فنقرّ بالقصور عن إدراكه)^(٩٤).

ويقول أهل البلاغة في ذلك العدول أن النظم جاء على ما هو عليه لاستحضار بشاعة صورة القتل: أي كأن الأمر يحدث الآن لترى بشاعة الأمر، وهذا ما يفيد الفعل

المضارع عندما يستعمل في الأفعال الماضية^(٩٥). مع ما في صيغة (تقتلون) من مراعاة الفواصل فاكتمل بذلك المعنى وحسن النظم

الفصل باختيار صيغة عدد على أخرى (أحد بدلا عن واحد).

يأتي العدد في القرآن الكريم أو في الإستعمال اليومي للكلام بصيغ مختلفة، ولكل صيغة منه دلالات تختلف باختلاف البنية أو التركيب الذي يرد فيه، ومن ذلك قوله تعالى في فاصلتي سورة البلد: (أحسب أن لن يقدر أحد)^(٩٦)، و﴿أحسب أن لم يره أحد﴾^(٩٧).

عند النظر في الدال المرئي لفواصل سورة البلد_الذي يمثل البنية السطحية_ نجد أن المراعاة أخذت مكانها الملائم، ولكن التأمل الدقيق في المدلول الذي يمثل البنية العميقة لهذا النظم نجد أن هناك دلالات دقيقة رشحت اختيار هذا الشكل اللغوي دون الآخر.

يقول الراغب الاصفهاني في استعمال العدد: (أحد: تستعمل على ضربين، أحدهما: في النفي فقط، والثاني في الإثبات، فأما المختص بالنفي فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق نحو: ما في الدار أحد أي واحد، أما المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه:

الأول: المستعمل في العدد مع العشرات...

الثاني: المستعمل مضافا أو مضافا إليه بمعنى الأول...

الثالث: المستعمل وصفا مطلقا ويختص بوصف الله تعالى نحو (قل هو الله احد)^(٩٨)، واصل أحد و حد إلا أن وحد يستعمل في غيره^(٩٩).

ما يهمننا في هذا ما جاء منه في الضرب الأول: النفي إذا جاء (احد) بمعنى (واحد مطلقا)، ففي هذين الشاهدين تضافر المستوى الشكلي مع المستوى الدلالي. إذ لو استعملت صيغة واحد بدلا من احد لما كان ذلك التزاوج بين المستويين ولم تصل الدلالة

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

المقصودة، فلا يقال: واحد ولو كان كذلك لاحتمل المعنى لن يقدر عليه واحد؛ بل اثنان أو أكثر، وكذلك الأمر في الفاصلة الثانية. ولا تقتصر المراعاة اللفظية والمعنوية على ما ذكره البحث من شواهد فذلك من الصعوبة بمكان، لأن ما وقف عليه من أمثلة يسوقها لدلائل واضحة على ما أراده من قصد.

الخاتمة:

مدارُ هذا البحث هو نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى، ولا يدعي صاحب هذا البحث أنه أحاط بالموضوع من كل جوانبه لكنه حاول أن يحصر الدراسة على وفق العنوان وما يتعلق به وان يضعه الموضع الملائم في التعبير القرآني.

وقد لاحت نتائج يمكن إجمالها بـ:

- ١- الفاصلة عنصر مهم من عناصر البيان القرآني.
- ٢- إن بيان نظم الفاصلة يعتمد بالدرجة الأولى على وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه.
- ٣- أظهر البحث أن دراسة الفاصلة لا تقتصر على المراعاة اللفظية فحسب وإنما مراعاة المعنى قبل ذلك.
- ٤- كشف البحث أن نظم الفاصلة يأتي متسقاً مع سياق الآيات السابقة واللاحقة بلا تكلف من خلال إحداث نوع من التجانس الصوتي الذي يؤثر إيجاباً في المتلقي.
- ٥- إن اتساق الفاصلة مع السياق يتبعه زيادة نكتة لغوية، أو دلالية أو، غرض بلاغي يمكن الوقوف عليه عند التأمل الدقيق.

هوامش البحث

(١) ينظر لسان العرب: (نظم)، وتاج العروس: (نسق).

- (٢) اساس البلاغة: (نظم).
- (٣) دلائل الاعجاز: ١١٧.
- (٤) النظم القرآني في كتب المتشابه اللفظي: ٥.
- (٥) مقاييس اللغة: (فصل)، وينظر لسان العرب: (فصل).
- (٦) ينظر لسان العرب: (فصل)، وأساس البلاغة: (فصل)، والقاموس المحيط: (فصل).
- (٦) ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن: (فصل)، والبرهان في علوم القرآن ١/٥٣.
- (٧) ينظر بلاغة القرآن: ٧٥، والفاصلة في القرآن: ٦٨.
- (٩) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني: ٦١، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٨٩، والمثل السائر ١/١٥٦، ومفردات ألفاظ القرآن (فصل).
- (١٠) الاتقان في علوم القرآن ٢/٩٧.
- (١١) من بلاغة القرآن: ٨٩.
- (١٢) درة التنزيل وعرّة التأويل: ٢٠-٢١.
- (١٣) تحولات النظم في سورتي الانفطار والانشقاق: ٢٥٦.
- (١٤) النزاعات: ٨-١٢.
- (١٥) الكشف ١/١١٧٦.
- (١٦) لسان العرب: (نخر).
- (١٧) معاني الأبنية: ٨٣.
- (١٨) البرهان في علوم القرآن ٣/٢٣٨-٢٨٤.
- (١٩) في نحو اللغة وتراكيبها: ٩٠.
- (٢٠) سورة الفاتحة: ٥.
- (٢١) الكشف: ٢٨-٢٩.
- (٢٢) ينظر المثل السائر ٢/٢١٨-٢١٩.
- (٢٣) ينظر التعبير القرآني: ٤٨-٤٩.
- (٢٤) سورة القيامة: ٣٠.
- (٢٥) سورة البقرة: ٢٤٥.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

-
-
- (٢٦) سورة البقرة: ٤٨ .
(٢٧) سورة يونس: ٥٦ .
(٢٨) سورة الزخرف: ٨٥ .
(٢٩) ينظر الطراز ٧١/٢، والتعبير القرآني: ٤٩ .
(٣٠) سورة إبراهيم: ٣٤ .
(٣١) سورة النحل: ١٨ .
(٣٢) (بني لغوية متواشجة في وجه من الوجوه على مستوى الدال اللغوي، ومتباينة على مستوى المدلولات ترد في قصص وموضوعات قرآنية عديدة بوصفها نوعاً من الاختيار الحاصل في أحد المتشابهين لدلالة يقتضيه السياق)، النظم القرآني في كتب المتشابه اللفظي: ٣٤ .
(٣٣) ينظر البحر المحيط ١٩٣/٧ وعلل الاختيار في تفسير البحر المحيط: ١١١ .
(٣٤) التعريفات: (ظلم).
(٣٥) ينظر مفردات ألفاظ القرآن: (كفر)، وأساس البلاغة (كفر)، والتعريفات: (كفر).
(٣٦) مفردات ألفاظ القرآن: (غفر).
(٣٧) مفردات ألفاظ القرآن: (رحم).
(٣٨) البرهان في علوم القرآن ٨٦/١ .
(٣٩) سورة النجم ٢١-٢٢ .
(٤٠) تذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٣٣٦، وأساس البلاغة (ضيز).
(٤١) المثل السائر: ٦٢ .
(٤٢) تاريخ آداب العرب: ٢٣٠/٢ .
(٤٣) دلائل الإعجاز: ١٧٠ .
(٤٤) ينظر التعبير القرآني: ٧٢ فما فوق وعلل التعبير القرآني في تفسير البحر المحيط: ١٤٩ فما فوق .
(٤٥) سورة الضحى: ٣ .
(٤٦) سورة الأحزاب: ٣٥ .

- (٤٧) سورة الضحى: ٦.
- (٤٨) سورة الضحى: ٧.
- (٤٩) سورة الضحى: ٨.
- (٥٠) ينظر الكشاف: ١٢٠٨.
- (٥١) ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن: (قلبي)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٤٥٧.
- (٥٢) ينظر معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٧٣-٢٧٤.
- (٥٣) ينظر الكشاف: ١٢٠٨.
- (٥٤) ينظر البحر المحيط ٨/٤٨٥.
- (٥٥) ينظر إرشاد العقل السليم ٩/١٦٩.
- (٥٦) معاني النحو للسامرائي ٢/٥١٥.
- (٥٧) سورة طه: ٧٠.
- (٥٨) سورة الصافات: ١٢٠.
- (٥٩) ينظر المثل السائر ٢/١٧٤.
- (٦٠) ينظر درة التنزيل: ١٤٧.
- (٦١) ينظر أسرار التكرار: ٩٠.
- (٦٢) ينظر ملاك التأويل ١/٥٦٩.
- (٦٣) سورة طه ٦٧.
- (٦٤) التعبير القرآني: ١٩٩، وينظر الدلالة النفسية في التعبير القرآني: ١٩٥.
- (٦٥) آية: ٤.
- (٦٦) آية: ٦٧.
- (٦٧) معاني القرآن للأخفش ١/٧٢.
- (٦٨) معاني القرآن وإعراجه لبي اسحق ٤/٢٣٧.
- (٦٩) الكشاف: ٨٦٦.
- (٧٠) ينظر التعبير القرآني: ٩٧.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

-
-
- (٧١) سورة البقرة ١٤٣.
- (٧٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن (رأف)، وأساس البلاغة (رأف).
- (٧٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن (رحم)، وأساس البلاغة (رحم).
- (٧٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣٠/١.
- (٧٥) التعبير القرآني: ١٩٦.
- (٧٦) وردت لفظة (رؤوف) مقرونة بـ (رحيم) في تسع مواضع في القرآن الكريم، ينظر المعجم المفهرس (رأف).
- (٧٧) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٧/٢.
- (٧٨) البرهان في علوم القرآن ٥٠٦/٢.
- (٧٩) معاني الأبنية في العربية للسامرائي: ١١٤-١١٥.
- (٨٠) ينظر المصدر نفسه: ٩٦.
- (٨١) ينظر الكشاف: ٢٧.
- (٨٢) سورة القمر: ٥٤.
- (٨٣) البرهان في علوم القرآن ٦١/١ فما فوق، وينظر النظم القرآني في كتب المتشابه اللفظي: ١٣١.
- (٨٤) الإتيان في علوم القرآن ٩٦/٢ فما فوق، وينظر الفاصلة في القرآن: ٥٤ فما فوق.
- (٨٥) قالوا بهذا الفراء والزركشي ينظر البرهان في علوم القرآن ١هـ، ٦٤/١.
- (٨٦) الكشاف: ١٠٦٩.
- (٨٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (نهر).
- (٨٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن (جن).
- (٨٩) ينظر النظم القرآني: ٦١.
- (٩٠) ينظر المصدر نفسه: ٦٢.
- (٩١) ينظر البلاغة والأسلوبية: ١٩٠-١٩١.
- (٩٢) آية: ٨٧.
- (٩٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ٦٧/١.

(٩٤) نقلاً عن الفاصلة القرآنية: ٨١.

(٩٥) ينظر الكشف: ٨٥، والدر المصون ١/٢٩٥، وصفوة التفسير: ٧٨.

(٩٦) آية: ٥.

(٩٧) آية: ٧.

(٩٨) الإخلاص: ١.

(٩٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (أحد)

ثبت المصادر والمراجع

- (١) الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، بهامش إعجاز القرآن، دار الهلال، بيروت، لبنان، (د. ت).
- (٢) أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
- (٣) أسرار التكرار: لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٤) إعجاز القرآن: لمحمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.
- (٥) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود العمادي (ت ٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- (٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبد الله بن عمر بن محمد القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥هـ.
- (٧) البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت، ١٩٨٨م.
- (٨) البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٨٤م.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

- (٩) تاج العروس: لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ.
- (١٠) تاريخ آداب العرب، لمصطفى الرافعي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م
- (١١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب: لعبد الرحمن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (١٢) التعبير الفني في القرآن الكريم: لبكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.
- (١٣) التعبير القرآني: للدكتور فاضل صالح السامرائي، طبع دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.
- (١٤) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي السيد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تقديم د. احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٦م.
- (١٥) تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م.
- (١٦) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للخطابي، والرماني، والجرجاني، تحقيق: محمد خلف، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٦٨م.
- (١٧) الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
- (١٨) درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: للخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠هـ) تصحيح ومقابلة عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د. ت).
- (١٩) دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٩م.

- (٢٠) الدلالة النفسية في التعبير القرآني: للدكتور عبدالله محمد الجبوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
- (٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- (٢٢) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٦٤هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.
- (٢٣) علل الاختيار في تفسير البحر المحيط د.دريد حسن احمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٠م.
- (٢٤) الفاصلة في القرآن: لمحمد الحسناوي، دار عمار، الاردن، ط٢، ١٩٨٦م.
- (٢٥) في نحو اللغة وتراكيبها: د.خليل عميرة، دار الفكر، عمان ط١، ١٩٨٤م.
- (٢٦) القاموس المحيط: لمجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
- (٢٧) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) علق عليه: خليل مأمون شيحا، دارالمعارف، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.
- (٢٨) لسان العرب: لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، مصر، ١٣٥٦هـ.
- (٢٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د.احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة، مصر، ط١، ١٩٥٩م.
- (٣٠) معاني الأبنية في العربية: للدكتور فاضل السامرائي، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١م.
- (٣١) معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٧٢م.
- (٣٢) معاني القرآن: للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) تحقيق: فائزة فارس، دار البشير، الكويت، ط٢، ١٩٨١م.

نظم الفاصلة القرآنية بين مراعاة اللفظ والمعنى

د. ياسين إبراهيم محمود

-
-
- (٣٣) معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨م.
- (٣٤) معاني النحو: للدكتور فاضل السامرائي، نشر جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٩٠م.
- (٣٥) معجم مفردات الفاظ القرآن: للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وتقديم: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م.
- (٣٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- (٣٧) ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل: لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) تحقيق: د. سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- (٣٨) من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٠م.

ألاطاريح والدوريات

- (١) النظم القرآني في كتب المتشابه اللفظي: أطروحة دكتوراه ياسين ابراهيم العبيدي، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦م.
- (٢) تحولات النظم في سورتي الانفطار والاتشفاق، د.مازن موفق، ومها محسن، مجلة جامعة كركوك، ع ١٤ مج ٤، السنة الرابعة ٢٠٠٩م.

ABSTRACT

The Quranic rhyme has a special place in the area of the Quranic text. It is an important element in it because ehyiming depends on the unity of the text and its cohesion. On the basis of general princiole that the secret behind the rhyming of the Quranic utterance derives from the secret behind its structuring. As much as aesthetic harmony in the structure of the Quranic rhyme، there is also another harmony in the meaning requieed by that structuring. The aim behind this study is not only to for account for letters and sounds in the Quranic rhyme، but also the meaning as wrll. Verbal performance reinforces semantic performance without concentrating on the formal structuring. Sometimes، the Quranic rhyming does not account for the rhyme. Rather it may come different from the preceding and the following rhme. this proves that the meaning is the basic factor